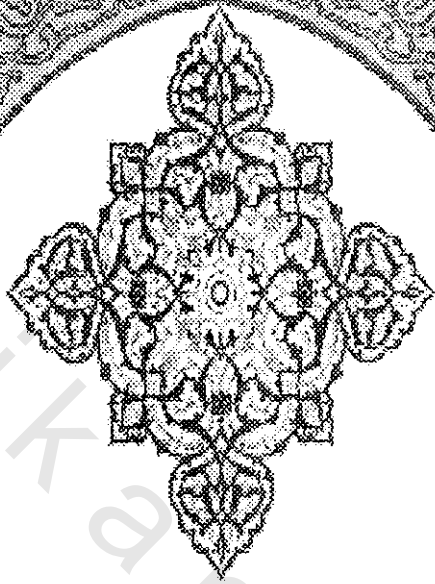

سورة غافر

obeikandl.com

﴿ سورة غافر ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴿٧﴾ ﴾

اعلم أيدنى الله وإياك بروح منه أن حملة العرش الثمانية، أعطاهم الحق سبحانه من القوة ما استطاعوا به حمل العرش، وهو الهيكل الوجودى بأسره، والذى قيل عنه إن العالم بالنسبة للكرسى كحلقة ملقاة فى فلاة وإن الكرسى بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة فى فلاة، واعلم أن من تتبع النصوص القرآنية، تحقق من أن النصوص وردت بحمل العرش فى موضعين:

الموضع الأول قولة سبحانه: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾

والموضع الثانى قوله سبحانه: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾.

واعلم أنه يستحيل عليه سبحانه وتعالى أن يحمله شئ كالماء وهؤلاء الثمانية، فإنه سبحانه مستوٍ فوق عرشه، وهذا الاستواء خارج نطاق العقل البشرى والوهم والخيال، فمن هؤلاء حتى يحملون العرش ومن استوى عليه، ومن تتبع حقيقة العلم علم أن عرشه سبحانه كما نص على ذلك العارفون هو الهيكل الإحاطى بمجموع المكونات فلا يخرج عنه شئ فى الإحاطة سوى الحق وهو الذى خلقه.

فإن قيل إن النصوص قد وردت بذلك؟ قلنا هذا ظاهر النص وأما باطنه فيدل على أنه سبحانه هو الذى قام بالحوادث ولم يقم به شئ

وهو الممسك الحقيقى للوجود وللكرسى وللعرش وللسموات أن تقع على الأرض، وهو الذى أعطى القوة للماء لكى تحمل العرش فى عالم البدء الأول، وكذلك هو الذى أعطى القوة لحملة العرش الثمانية لكى يحملوا فوقهم عرش الرحمن، وأما من ظن أن حملة العرش الثمانية يحملون العرش والحق وهو صاحب الاستواء فقد ضل ضلالاً بعيداً، ومن هنا ضلت الوهابية لما قالت إن الذات الإلهى فى السماء فقط، واستدلوا بحديث الجارية، وفى الحقيقة أنهم لم يفهموا الحديث كما ينبغى، فإن الجارية لو أشارت إلى جهة الأرض لما كذبها النبى ﷺ لعدم خلو الجهات من الوجود الإلهى وعن هذا يقول سبحانه: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾

والعلم الباطنى يثبت ذلك، وصفة ذلك أن العرش محيط بالمخلوقات الإلهية، والإحاطة لا تعرف جهة معينة، وإذا تحققنا من أن العرش محيط بالمكونات وأن الرحمن كان له الاستواء الفعلى على العرش تحققنا من أن الوجود الإلهى لا يحدد بجهة معينة، ومن حدده كان أجهل الناس بالحق عز وجل، لكونه حصر الوجود الإلهى فى جهة معينة وأخلى باقى الجهات من وجوده سبحانه، وفى الحقيقة أن المكان والجهة لا وجود لهما أصلاً، فالكون الفسيح المتوسع والمتمدد قد فتق الرتق، وخرج عن الجهة إلى عالم المجهول الذى تذوب فيه الجهة والمكان والزمان، ولذلك لو صعد رائد الفضاء بسفينة وسبح فى الكون وأحب أن يقول ههنا الغرب وههنا الشرق لما استطاع أن يحدد ذلك، ولذلك لما قلت أمام شيخنا الشريف عبد المجيد ﷺ إن الله موجود فى كل مكان قال لي: أين المكان وزجرنى وقال لى قل: الله موجود حيث أكون.

﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٧﴾ ﴾

فالعالم العلوى مستغفر للعالم الأرض السفلى، وليس الثمانية فقط الذين هم حملة العرش بل من حول العرش قائمون فى هذا الاستغفار، ويسألونه سبحانه أن يشمل العالم السفلى بالوسع الرحموتى الذى وسع به الكل منذ الأزل.

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴿٧﴾ ﴾

أى وسع كل الأشياء كبيرها وحقيرها ومؤمنها وكافرها برحمته وعلمه، ولذلك حكى الشيخ الأكبر فى الفتوحات عجائب عن هذه الآية، فمن جملة ما قاله: إن الكفار من أهل جهنم سيأتى عليهم يوم وتخمد فى النار وتنطفئ ثم يحسون بنعيم وهمى وهم بداخل النار، ثم احتج بقوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾، وقال: والكفار من جملة الأشياء الذين يدخلون فى هذا الوسع، فلابد أن يصيبهم شئ من ذلك الوسع الإلهى المختص برحمته سبحانه، والذى وسع به كل الأشياء التى خلقها.

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴿١٥﴾ ﴾

التى لا يعلمها سواه اختصاصاً علمياً ذاتياً، ولا يطلع على ذلك مخلوق، ثم اطلاع الأكابر من الأنبياء فإن لهم اطلاعاً على تلك الدرجات ثم اطلاع الورثاء لهم والنواب من غيرهم.

واعلم أن اطلاع الألوهية على نفسها له حيطة ليس لغيرها، وهى من حجب الغيرة، فإن للألوهية اختصاصاً لا يَتسلقه مخلوق، وهو من خصائصها الذاتية المكنونة، فإن الحق لا يعلمه سواه حق المعرفة

العلمية الإحاطية، كما قال ﷺ: ((كان الله ولا شئ معه))، أى لم يكن شئ معه فيعرفه سواه هو.

ولما أرد أن يعرفه سواه تنزل من الأحدية إلى الواحداية، فحدث التعدد والكثرة، فهنالك تم التعرف على الواحد المفرد.

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾

أى يلقى الحياة الإلهية بالأمر المراد صدوره من الحضرة على الورثة الإلهيين الذين يستحقون هذه الإراثة الربانية، من أجل تحريك الكون بالأوامر الإلهية الصادرة من حضرة الأمر.

واعلم أن الوجود الكونى ما هو سوى صنم جامد بدون إلقاء هذا الروح الإلهى عليه، فهناك تتحرك صور الأعيان الكونية لتنجز المراد منها بتركب الروح الإلهى فيها.

﴿ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

بروز استنفاذ لمعلوماتهم، واستسلام لعلمه واطلاعه ولذلك قال:

﴿ لَا تَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ﴿١٧﴾ ﴾

من المعلومات الظاهرة والباطنة.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

اعلم أن مبلغ علم فرعون أنه قاس الألوهية بالأسباب الظاهرة، فظن أن هامان لو بنى مبنى عالٍ لبلغ به الألوهية، وحاشا للألوهية أن تبلغها الأسباب، وبهذا كفر الماديون والشيوعيون، فقالوا: إن هذا الكون ليس له إله مدبر، وأرجعوا قوة التوليد والإنشاء للطبيعة، وقالوا لو كان لهذا الكون إله خالق لرأيناه ولظهر لنا، وذلك لظنهم أنه لا عالم بادٍ سوى المرئى، فلا إيمان لهم بالغيب الخفى .

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾

اعلم أن التفويض أعلى من التوكل كما هو منصوص عليه عند أكابر العارفين، فمن وكل عنه إنساناً فإن له حق الرجوع، وأما التفويض فليس له الحق فى ذلك، لكونه النيابة المطلقة، فالمفوض لا يرجع بخلاف الموكل، وذلك لكون المفوض لا يفوض أمره إلا لمن هو أبصر به منه ولذلك قال ذلك المفوض: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ أى هو أبصر بحالى منى، والعارف إذا فوض الحق عز وجل عنه استحى أن يرجع فى تفويضه لربه وكيف يصح له الرجوع وقد فوض مولى الموالى فافهم .

فمن فوض فقد فوض فى الكل، وأما من وكل فقد وكل فى الجزء، لكون التفويض أمراً شمولياً .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾

فى كل زمان، فإن رسل الله مستمرون إلى القيامة ــ أقصد ماخلا الأنبياء ــ فإن نبوة الحقائق من أهل المعرفة لا تنقطع منهم الأزمنة السابقة واللاحقة، كما نص على ذلك الشيخ الأكبر فى الفتوحات المكية.

فنصره سبحانه لأهل المعرفة يستحيل أن ينقطع بموت سيدنا محمد ﷺ ، بل هو مستمر إلى يوم النفخ فى الصور، وإلا لما نصر الله أولياءه ضد أعداءهم، ودليلنا فى ذلك هو قوله ﷺ: ((**من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب**)) ، فإذن الحرب مستمرة إلى يوم القيامة ضد أعداء أهل المعرفة الربانيين لا تنقطع، ومادامت هنالك معرفة وعارفون به سبحانه فهناك حرب، ومادامت هناك حرب فلابد أن يكون هناك نصر.

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴿٥٥﴾ ﴾

الذى لم يقع منك، ولن يقع منك.

واعلم أن استغفاره ﷺ حاصل من دقائق فى علوم المعرفة لا علم لأكابر العارفين من الأنبياء والأولياء بها، لتناهيها أن يصل إليها أحد فيتذوقها فى ذلك المقام العارفانى، وإنما هو مقام خاص به وحده ﷺ ، ظاهره التقصير وباطنه مقام عرفانى له كبير.

فحاشاه ﷺ أن يوصف بأنه مذنب ومقصر فافهم.

﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾

أى لا تدع طرفى النهار يتجاوزك بلا ذكر، ولتكن سيد الوقت، فاقطع وقتك ولا تدع الوقت يقطعك، وكما قيل: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴿٥٧﴾ ﴾

أكبر وليس أعظم، وذلك لكون العارف أعظم من السموات والأرض وأعظم من الجنة والنار وأعظم من اللوح والقلم.

ولذلك قال سبحانه كما ورد فى الحديث القدسي: ((**ما وسعنى سمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن**))

فالكل لا يحتمل وجود الحق فيه، سوى القلب فإنه أفرغ لكى يكون الحق سبحانه فيه،

وعن هذا المقام أشار ﷺ إلى الكعبة وقال: ((**والله إن لك لحرمة وإن حرمة المؤمن عند الله أشد من حرمتك**)).

وورد فى الحديث عنه ﷺ أنه قال: ((**لو اشترك أهل السموات والأرض فى قتل مؤمن لاقتص الله منهم**)).

وانظر رحمك الله كيف يقال لهﷺ : ﴿ **فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾، وكيف قيل لموسى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾، هل بربك قيل ذلك لسماء أو أرض؟ فأيهما أشرف؟ هذان الفانيان أم محمد وموسى غليهما السلام ؟

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ ﴿٦٠﴾ ﴾

بإخلاص وصدق وخنوع وخشوع واضطرار وبشرط أن لا تحددوا زمن الاستجابة فستكون النتيجة أنى:

﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾

وسأريكم عجائب الاستجابة، بما لا يخطر على بالكم فى الأوقات، فانتظرونى ولا تنتظروا إجابتى، وانتظرونى ولا تنتظروا الوقت، وإنما منعت الاستجابة لتقديم الحدث على القديم، فكان الأولى للداعى

أن يقدم القديم على الحدث، فلا يقدم الوقت بين يديه، ويفضل الفناء عليه.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

فإذن الله ليس شيئاً كما قال ذلك أبو حيان التوحيدى فى كتابه الإمتاع والمؤانسة: هل الله شيء؟

فقال: نعم الله يصح أن يطلق عليه شئ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾

ولكنه ﷺ يعلم الأنبياء الذين لم يقصصهم عليه الحق عز وجل، يعلم أسماءهم وعددهم، فإنه ﷺ حاشاه أن يجهل عدد إخوانه من الأنبياء وأن يجهل أسماءهم، واعلم أن عدد الأنبياء هو مائة وأربعة وعشرون ألف نبيا، فكيف يقص الأنبياء هذا العدد الهائل من الأسماء فى القرآن ؟ ولكنه ﷺ له العلوم الإحاطية بالعلوم.